Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

مكانة نظرية تصنيف الأجناس في الفكر الاستعمار الأوربي

.The place of racial classification theory in European colonial thoughts

دليلة بوجناحBoudjenah dalila
جامعة البليدة 2 علي لونيسي
Blida 2 University ali lounici
da.boudjenah@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021-10-23 تاريخ القبول : 2022-01-24

الملخص:

تتناول هذه الدراسة نظريات تصنيف الأجناس البشرية، مفهومها و مضامينها ،ومدى استعمالها من طرف مفكري و منظري الفكر الاستعماري الأوروبي ،خاصة خلال القرن التاسع عشر و بداية العشرين ،أين اتخذ الفكر الاستعماري وسائل جديدة غير مألوفة مقارنة برواده الأوائل ،فتطرقت هذه الدراسة أولا للجرائم الاستعمارية التي عاشتها الدول المستعمرة عامة بسبب ظهور و توسع هذه النظريات، التي استهدفت الإنسان المستعمر .

تناقضت هذه النظريات مع مبادئ الدول الاستعمارية، ما جعل حكوماتها تلجا لعدة وسائل من اجل إقناع الرأي العام الأوروبي بضرورة استعمار هذه الشعوب تحت راية تطوير و تحضير الدول و الشعوب المتخلفة،و من أهمها تلك المعارض البشرية ،التي كانت واجهة لهذه السياسة الجديدة .

الكلمات المفتاحية: لا تتعد الخمس كلمات الاستعمار، نظريات التصنيف الأجناس، جرائم الاستعمار، تحضير الشعوب، المعارض البشرية..

Abstract:

The approach of this study allows us to begin the theories on classification of human races in 19 and early 20 from the concepts and contexts of these colonial thoughts.

From the beginning of this research, we make on evidence the impact of colonial crimes suffered by the invaded people and subjected to the emergency and expansion of the so-called colonizing theories.

This state of affairs was intended to legitimize and justify these theories on the name of humanism.

Keywords: theories on classification, these colonial thoughts, emergency and expansion , colonial crimes .

مقدمة:

لا شك أنّ أهم ما ميز القرن التاسع عشر هو تلك الظاهرة الاستعمارية التي تزعمتها الدول القوية آنذاك، وما نجر عنها من حملات عسكرية واسعة النطاق والمتصفة بالعنف،والتي اصطلح عليها بمفهوم "الاستعمار"، وربما يمكن اعتبار أن أهم مجالا تفرضها هي إفريقيا التي كانت أكثر المناطق شاهدة على الزحف والسباق الاستعماري التي اتسم بها القرنان 19م و20م.

بالتأكيد أن مصطلح الاستعمار يعني لغويا العمارة والبناء[1]، إلا أنه يختزن عملياً وتاريخيا مدلول الخراب والدمار، كما أن هذا المصطلح والظاهرة ليست خاصة بعصر دون آخر، وإنما عرفت تطورا عبر كل مراحل التاريخ.ورغم الضجيج الذي أثارته المنظمات الدولية حول «انتهاء الحقبة الاستعمارية» و«تحرر المستعمرات» إلاّ أنّ بصماته تشاهد في كافة أنحاء العالم من خلال غزوه الفكري والثقافي، واستغلاله لاقتصاد المجتمعات التي كانت تحت نفوذه، وبقاء سيطرته الساسية والعسكرية في

جميع أنحاء العالم، مما يوحي باستمرار الحركة الاستعمارية بوجه آخر.

يعتبر الاستعمار الفرنسي في القرن 19،تجربة خاصة وأسلوبا متميزا في فرض الهيمنة الأوربية على الأقطار الإسلامية، وذلك بسبب تناقضه مع التوجهات الأوربية والقيم الحضارية التي كانت تؤمن بها أوربا الإنسانية فالأهداف الاستعمارية تتناقض- بشكل واضح - فمثلا فحوى المنشور الموجه إلى سكان الجزائر خلال الحملة الفرنسية عليها كان- في الواقع- متناقضا مع مبادئ الثورة الفرنسية حيث انتهى إلى تحطيم بنية المجتمع الجزائري والقضاء على الأسس المادية والقيم الحضارية والشعور الديني ومحاربة اللغة العربية وإحياء النزاعات الإقليمية لتسهيل عملية السيطرة، في وقت كان البيان يؤكد بأن فرنسا لا ترغب في محاربة الجزائريين، ولكنها تسعى إلى تخليصهم من الهيمنة الأجنبية "الأتراك".[ii]

نجد أن الأوضاع التي عملت أوربا جاهدة للتخلص منها كاستبداد النبلاء والكنيسة،سعت إلى تطبيقه وممارسته على الشعوب المستعمرة[iii]،فأوروبا– وعلى رأسها فرنسا - التي حاربت نظام العبودية،هي التي جعلت من مستعمراتها جزء لا يتجزأ منها، ونشرت فكرة أن الشعوب لا تسير وتحكم بنفس الطريقة، ومن اجل استمالة الرأي العام العالمي لجأت إلى تفعيل تبريرات علمية تجعلها تمارس استغلالها بكل حرية،ومن أهمها أعمال نظرية التفوق العرقي التي برزت في تلك الحقبة بشكل لافت.

ففيما تمثلت تلك التبريرات؟وكيف استعملت من أجل إقناع المجتمعات الأوربية الإنسانية المنادية بالحرية والمساواة وإعطاء الأولوية للفرد، بضرورة استعمار هذه الشعوب المتخلفة ضمن مهمة تطويرهم وتحضيرهم ؟

- الاستعمار والجريمة ضد الإنسان:

نود أن نشير بداية أنّ الكتابات الحديثة والمعاصرة الأوربية فيما يخص الحقبة الاستعمارية قد تعددت وأبانت عن تناقضاتهم بالمقارنة مع نظامهم الداعي الى الديموقراطية، وهذا بالنظر إلى ممارساتهم المنافية لمبادئ ثوراتهم، ونعتقد أنّ هذا منبعث من حرصهم على حماية مصالحهم المادية بالمستعمرات[iv].

اتسمت الممارسات الاستعمارية الأوربية تجاه المستعمرات بالعنف والهمجية، وقد تجسد ذلك في عدد المذابح وموجة الإبادات الجماعية. وقد أظهر القرن التاسع عشر درجة [v]التمادي في ذلك حينما عمد الألمان إلى مذابح هيريرو(Herero) في ناميبيا[vi]، إضافة إلى المذابح المقترفة في حق الأفارقة، والتي راح ضحيتها عشرات الملايين في كل من الكونغو ووسط إفريقيا، ناهيك عن ما وقع بشمالها حيث الوطن الجزائري، وقد جاءت إحصاءات فرنسية لتصرح بتقتيل أزيد من سبعمائة ألف ضحية نتيجة المذابح التي جرت بين 1830 و 1849م، أي أن ربع السكان قد تمت إبادتهم باعتبار إن تعداد السكان الجزائريين عصرئذ يلامس عشرة ملايين نسمة[vii].ولا شك إن الحركة الاستعمارية مثلت سلسلة طويلة اتسمت بالجرائم ضد الإنسانية، أدت إلى تدمير القيم الإنسانية الأخلاقية أساسا والمادية ثانية، مما أدى إلى ظهور حركة استنكار واسعة اتجاه هذه الأفعال، فقام المحتل يبرر أعماله المشينة بالاستناد إلى نظريات وتشريع ممارساته وفقها.

وإذا ما أردنا التوضيح أكثر يحضر مثال الجمهوريتان الفرنسيتان الثانية والثالثة اللتان شجعتا على الاستعمار ومجدتا ممارساته، وقد كان كل من جول فيري ،وقمبيتا الممثلان للنظام الجمهوري- يعملان على تبرير ذلك بالترويج لنظريات تحط من قيمة الشعوب المحتلة لتجسيد السياسة الكلونيالية. وهذا ما كان يدفع بجنود الجمهورية الفرنسية إلى الدوس بأرجلهم على حقوق ذلك الإنسان، والتفنن في إذلاله وإبادته، كان كل هذا تحت تبريرات السياسيين المعتبرين عملهم من عمق الحضارة الذي يساعد على ترقية البلدان المتخلفة في هذا الشأن[viii]، حيث صرح جول فيري أمام الرأي العام العالمي قائلا:"إن وجودنا عند هؤلاء البرابرة يندرج في إطار مهمتنا لنقل الحضارة إليهم"[ix] .ولأجل ذلك عمد السياسيون على مجاراة بحوث علمية انتروبولوجية التي طورها المفكرون عن طريق قياسات الرأس والهيكل العظمي والجماجم، ليصلوا إلى الإقرار على أن إنسان افريقيا وآسيا ينتمي إلى

الطبقة الدنيا، وبذلك يحق في شأنه تلك الممارسات لتحضيره ودمجه في التطور البشري[x].

وهكذا لم يتردد ساسة الحركة الاستعمارية الفرنسية – مثلا - في التمييز بين الجزائريين الأهالي والأوربيين، وعلى أساس هذا التقييم والتصنيف الانثروبولوجي انتهج هؤلاء المحتلون سياسات تعليمية خاصة بالأهالي على أنهم غير راشدين، وأنهم محتجون إلى من يأخذ بيدهم ليدمجوا ضمن الدولة الفرنسية ووفق شروط مضبوطة لتحقيق الغرض[xi].

نظريات التبرير الاستعماري:

احتفظ الاستعمار بطابعه العنصري منذ البدايات ولا يزال، فلم يهتم بالجانب الأخلاقي أولا با المظهر الإنساني، مثلما لم يقلقه وضعه في المستعمرات[xii]،رغم رواج مبادئ الثورة الفرنسية المنادية بالمساواة والعدالة والأخوة التي ناد بها منظرو ومفكرو هذه الفترة،انطلاقا من مبادئ الإنسانية التي انتشرت في أوربا عقب النهضة والحركة الفكرية التي شاهدتها أوربا، بل قررت السلطات الاستعمارية نهائيا أن العربي – كعينة للشعوب المستعمرة – هو كائن من الطبقة الدنيا، وفرد غير كامل، وقد بقي الاستعمار مصرا على ذلك الحكم ولم يتراجع عن تلك القناعات رغم المعارضات التي كانت تتنامى داخل المستعمرات وأحيانا من قبل عدد من عقلاء ومفكري أوربا ذاتها[xiii] .

لا شك أن الفكرة والتأسيس لها كان ابتداء من القرن 18 م ،عندما شرع علماء البيولوجيا في تصنيف وترتيب البشرية وفق سلم من الأكثر تطورا إلى الأقل، وبالتأكيد فقد كان ذلك حسب مفاهيم تطور الفكر والمجتمع الأوروبي، وحتما أصبحت هذه المقاربة تغذي مفاهيم ذات أبعاد وأخطار وخيمة على البشرية والعالم[xiv].

ولتجسيد هذا وجدنا في نهاية القرن 19 - أي خلال مرحلة التوسع الاستعماري الكبير-أدخل علم الإنسان والأجناس "الانتربولوجيا" مفهوم الأجناس الدنيا حيث وضع أسسا– قائمة على الاختلاف - ستعتمد عليها أجيال من المفكرين لخدمة وتبرير حركتهم التوسعية. وعليه وصفت كل الشعوب التي تسكن في حدود خط الاستواء وما وراءهعلى أنّها شعوب البدائية،والتي شبهها بالإنسانالنيوليتيالبدائي وبذلك إبعاد الأنظار عن إجراءاته التعسفية المتمثلة في سلب الأراضي وتقسيمها بتقسيم الانسان إلى بدائي وراقي [xv].

لقد جاءت فكرة وجود أجناس اقل تطورا- حسب تصنيفهم-لتمنحهم حق حمل صولجان تطوير وتهذيب الشعوب المتخلفة، ذلك ما جاء في خطاب جول فيري الشهير 28 جويلية 1885م الذي ينادي فيه بحقوق الأجناس الراقية على الأجناس الدنيا[xvi]،وأوهموا الناس بأن هذا النقص ثابت علميا، وبالفعل سعوا بوسائل مختلفة لنشر هذه الأفكار والنظريات في أوساط المجتمع الإنساني.

لكي تتمكن هذه الخطة من التجسيد وتحقيق المبتغى أحاطوا هذه الأفكار بأكاذيب أرادوا من خلالها إيهام الرأي العام العالمي بمهمتهم في نشر الحضارة والإنسانية،ولا شك أن الفكرة بقيت مستمرة، فإذا قارنا الخطابات النازية والفاشية – التي جاءت فيما بعد- بالخطابات الاستعمارية - السابقة- نجدهما متماثلتان،على أنّها خطابات تكرس فكرة تفوق المستعمر الأوربي على باقي شعوب العالم، وذلك بسبب انتمائه للأجناس الراقية وهذا التفوق هو الذي برر كل أنواع الممارسات من نهب واستيلاء[xvii].

لقد لجأ علماء البيولوجيا خلال القرن 19 إلى علم التشريح المقارن معتمدين في أعمالهم على قياس الجماجم وسعة الدماغ عند مختلف الأجناس،وتوصل العالم بول بروك Paul Broca في 1815 من خلال تشريحا ته ومقارناته أن جمجمة الرجل الأسود الإفريقي تقل سعة عن جمجمة الرجل الأبيض الأوربي بحوالي 100 مم^3، ولا شك أنّ علم قياس الجماجم)(craniométrie. قد ساعد النازية مثلا على تثبيت وتقنين وتشريع الخطابات العنصرية وتصنيف الشعوب وفق معايير أثنية، لتأتي إشكالية أصل الإنسان لتقسم النخب العلمية إلى قسمين، قسم قوي يؤمن بأحادية ألجين أي كل الأجناس تنتمي لنفس الأصل(monogénisme) les،والقسم الثاني المدافعون على فكرة تعدد الأجيال(polygénistes)،والذين يرون أن لكل جنس جدّ خاص به، وقد وضع هؤلاء فرضيات من أجل إيجاد انساب آو تقارب بين أهم الأجناس والكائنات الحية التي تعيش في نفس المناطق مثلا الرجل الإفريقي وشانبونزي والغوريلا[xviii]، فالمشرح رشاراوفون RichadOwen يصنف الأسود أنهم اقرب إلى الحيوان من الأجناس الأخرى، في شجرته لنشوء وتطور

الإنسان،1865 Arbre phylétique de l'homme de.[xix] كما أن العالم البيولوجي الألماني ارناست هاكد Haeked Erneste هو الأخر صنف الجنس الأسود لجنوب غرب إفريقيا والأبوريجان السكان الأصليين لاستراليا خاصة في الدرجة الدنيا في سلم التسلسل الأجناس[xx].

ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية لتبعد عن هذا الاتجاه، فقد برر أنصار العبودية أعمالهم معتمدين على نظريات من هذا النوع، حيث يرى ساموبل جورج مونتون ولويس اقاسانSamuel Gorge Montronأن السود ينتمون إلى جنس مختلف وأدنى من الجنس الأبيض، وأن مبادئ أو أسس العبودية تقوم على هذا النوع من النظريات[xxi]، وبما أن الاستعمار هو نوع من أنواع العبودية فانه لا محال سيعتمد في فكره أولا ثم في حركته على كل أنواعها على هذه النظريات وفي معظم خطابات المستعمرين الذين نادوا بضرورة تطوير وتحضير الشعوب المتخلفة،والذي كان يعتقد بعدم وصولها بعد إلى درجة الإنسان المتطور والمتحضر حسب المقاييس الأوروبية.

إنّ هذا النوع من النظريات ظهر بقوة خلال النصف الثاني من القرن 19م[xxii]،وهي نفس الفترة التي ظهرت فيها الموجة الكبيرة للحركة الاستعمارية المعاصرة وانهيار القوى التقليدية،في حين أوهمت القوى الجديدة العالم أنها حاملة لرسالة نشر التطور والتحضر والحرية والإنسانية عن طريق حركة استعمارية مطبقة لفكر استعماري عنصري[xxiii].

كان من أول المنظرين في هذا المجال العنصري المرتبط بالفكر الاستعماري جوزيف ارتور دو قوبينو JosepheArthur Comte De Gobineau من خلال أبحاثه التي دونها في ستة مجلدات مابين 1853-1855[xxiv]، والذي تناول فيها فكرة عدم تساوي الأجناس البشرية،واعتبر هذا الإنتاج من أهم ما اعتمد عليه معظم الاستعماريين من مفكرين وسياسيين وعسكريين ورجال دين[xxv]،حيث استعملت الكنيسة هذا الفكر العنصري خلال حملاتها التنصرية في إفريقيا،فاستكشاف القارة الإفريقية من طرف الغرب فتح الباب أمام المستعمرين للاستيلاء على مساحات واسعة واستغلال الأفارقة، وأخذ خيرات المنطقة من أجل تحسين حياة الفرد الأوربي[xxvi].

يعتبر –جوزيف أرتور- من أهم دعاة تفوق الجنس الأبيض وخاصة الجنس الآري على حساب الأخريين، بل ذهب الى التأكيد على أن بياض البشرة هو من أهم مقاييس الجمال حسب المقاييس الأوروبية طبعا،كما أنها تظهر التفوق العلمي والفكري والأخلاق،فيضيف إلى تصنيفه الجنس الأسود المنحط الذي يرى أن من خلال تصرفاتهم المتوحشة سيؤولون للانقراض،كما كان يرى أن تهجين الأجناس سيكون له عواقب وخيمة على البشرية، بل تطرف بالقول على انه يجب أن يعاقب منتحلوه بشدة [xxvii].

عمل البعض على ترجمة هذا العمل إلى اللغة الألمانية في1898[xxviii]. حتى أصبح من أهم مصادر المنظرين للنازية، وأكدوا من خلاله أعمال في 1872 على وجود إنسان من الدرجة الثالثة بالاعتماد على مجموعة من الأبحاث والحفريات في مواقع أثرية تعود إلى ما قبل التاريخ،ومن خلالها سيضيفون إلى المخطط المتعدد الطبقات(polyphylétiques)المستحثات البشرية الحفريات، وعليه قام العلماء بجمع المستحثات البشرية وفق الأجناس الإثنية وتصنيفهم[xxix].ومن خلال استعمال علم المقارنة التحليلية بين الأجناس والمستحثات البشرية أكد علماء الأنثربولوجيا على وجود أجناس متفوقة وأجناس أخرى منحطة،والتي تتميز بدرجة اقترابهم من القردة.

ومن جهة أخرى قام أنصار نظرية التطور بتدعيم نظريتهم فصنفوا الإنسان في منحنى متصاعد بانتظام، مما أوجد فرقا أو ثغرة فضيعة بين الإنسان البدائي القريب من القردة والإنسان الحالي، وأصبحوا يبحثون عن تلك الحلقة الضائعة [xxx]،التي لم يعثر عليها إلى حد اليوم، وهذا ما يجعل النظرية غير مؤكدة، فعالم الأنتروبولوجيا هرمن كلاتش(Hermann Klaatsch) يقترح شجرة أو مخطط النشوء والتطور(un arbre phylogénique)أين يفترض أن الفرعين الرئيسيين ينطلقان من جد واحد،وان إحدى هذين الفرعين يتضمن سلالة الإنسان الإفريقي –الغوريلا- والإنسان النيوديرتالي،أما الفرع الثاني يتضمن رجل أسيا وأوربا وإنسان الغاب(l'ourang-outan)والرجل المتحجر(l'homme fossile d'Aurignac)، أنّ أنصار فكرة تعدد الأجيال(le polygénisme) مع تقبلهم فكرة صلة القرابة بين البشرية البدائية والقردة،لكن الإنسان الحالي يقرب

للبشرية التي عاشت في العصر الجليد، هذه الأجناس انقرضت وافترضوا أنه قد خلفتها إنسانية جديدة وهو الإنسان العاقل Homo Sapiensحسب رأيهم[xxxi].

اعتمد علماء الأونثوبولوجيا-ومنهم تخصيصا- جوزي فرقوسن ماكلينانJose Fergusson Mac Lennan والويس هنري مورقان Luis Henry Morgan وجوان جاك ولباشوفانJohan JakoleBachofen فيمابين 1840 و1860 على الأنظمة العنصرية من اجل شرح ووضع أسس الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ومن ثمّ التفرقة بين الأجناس،وهذا بالأخذ بعين الاعتبار كل ما سبق من خصائص جسدية، كل ذلك وفق ما سيضاف اليها من خصائص ومميزات أخلاقية ولغوية وتاريخية[xxxii].

لقد كان النصف الثاني من القرن 19 لحظة حاسمة في ظهور فكرة ارتباط التطور الثقافي بالتطور المستمر للإنسانية،وهذا الإنسان– حسبهم- انتقل من الوحشية البدائية إلى الحضارة عن طريق تطور التقنيات الكفاف،حيث كان آنذاك يعتبر السلوكيات والتقنيات الاجتماعية والدينية والأخلاقية الأوربية على أنها الحضارة الأكثر تطورا مقارنة بما كان عليه العالم، وبالتالي صارت نظرية التطور في هذه الفترة التي تسيطر عليها العلوم الوضعية،تختلف– في مقارباتها – عن الفترات السابقة[xxxiii].

صارت الرؤية الفوقية والمتطورة باستمرار للإنسان– عند هؤلاء- ترتبط بتصنيف تسلسلي للأجناس الإنسانية حسب الأقدمية من الأكثر تطورا إلى الأقل،ومن خلال الأفكار العنصرية التي تعتبر الإنسان البدائي هو نقيض الإنسان المتحضر أي الرجل الأبيض الأوروبي بثقافته الأوروبية وتقنياته هو الأكثر تطورا،فقد بات مجبرا على حمل هذا التطور والتحضر خارج أوربا من اجل تطوير وتربية العالم، وخاصة الشعوب المتخلفة، وهذا باعتباره أنموذج التطور وتحسن وضعية الفرد[xxxiv].

لقد أصبح الصراع هو المحرك لهذه الأفكار العنصرية، لنصل إلى طرح فكرة الانتقاء للسلالة الراقية، وستطرح هذه الفكرة من طرف عالم الاجتماع لماركين هربرتسبنس Spencer)(Lamarkien Herbertأين تكلم عن الداروينية الاجتماعية التي تعتمد على أن الوراثة لها دورها المهم والفعال في تطور الإنسان، وان الخصائص الموروثة هي دوما المتغلبة على الخصائص المكتسبة بالتربية،كما تؤكد أنّ الصراع من أجل الحياة هو طبيعة العلاقة الاجتماعية بين الأفراد[xxxv].
يرى أنظار نظرية الانتقاء الطبيعي بأن الإنسان البدائي المتوحش سوف يؤول إلى صفاته البدائية إلى الزوال طبيعيا باعتبار أن عميلة التطور الحتمية التي سيجلبها له الاستعمار، وهي - في نظرهم - عمل حضاري وتطويري للإنسان البدائي [xxxvi].

نفس هذه الفكرة -أي الداروينية الاجتماعية- ستعزز فكرة تواجد الأجناس الدنيا والتي ستستخدم من أجل تبرير – علميا- سياسات اجتماعية مبنية على مبدأ الفردية (l'individualisme) والصراع من أجل العيش، وبالتالي استغلال الطبقة البروليتارية والعبيد والاستعمار وإبادة بعض الأجناس، وكذا الصراع بين الأفراد والمجتمعات وبين الدول لا محال،كما يعتبر هذا التصنيف للأجناس- على أساس نموذج تطور الإنسانية- هو أساس فكرة الجنس الآري الذي ينبثق من فكر لا أساس له علميا[xxxvii]، أن الشعوب الأولى التي تتكلم اللغات الهندية الأوربية وخلفهم إلى غاية العصور الحديثة قد كانوا جنسا مميزا حسب(Haekel) وهم الألمان وانجلوساكسنو السكوندينافيين، والذين يعتبرون الأكثر تطورا في الإنسانية،أما عالم الانتروبولوجي اجورج فاشير(Gorges Vacher de Lapouge) احد أوائل المنظرين لنظرية عدم اختلاط الأجناس(L'eugénisme)فيؤكد أن مصير العالم مرتبط بانتصار الجنس الآري على اليهود،حيث نشر سنة 1899 نصا لمحاضرة في العلوم السياسية في جامعة مونبولي بعنوان : "الآري ودوره الاجتماعي"، وهو العمل سيكون حتما من أسس التي سيرتكز عليها منحى معاداة النازية للسامية[xxxviii] .

إن تصنيف الأجناس الذي وضع أسسه قوبينو سيتواصل إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين،أما تصنيف البشرية ستتواصل إلى غاية الحرب العالمية الثانية، أما في فرنسا فسيستعمل مفهوم الأجناس في 1928 أثناء الحوارات الخاصة بموضوع اختلاط الأجناس في المستعمرات، وسيستعمل رسميا في فرنسا خلال حكم الجمهورية الثالثة1939، في حين سيدخل في المجال التشريعي والقانوني في حكومة فيشي مع

الاعتراف باليهود، ثم ليتوسع للأقليات التي تختلف بدينهم أو جنسيتهم[xxxix].

كما سيتميز هذا القرن بفكرة تحسين النسل،وهو اتجاه أسسه عالم الانتروبولوجيا البريطاني فرنسيس قالتون(Francis Galton) في كتابه 1899 الذي يرى فيه انه من الواجب على البشرية – إن أرادت حفظ الجنس الراقي- تفادي اختلاط الأجناس فيما بينها للحفاظ على الجنس الصافي عن طريق الانتقاء، وكل ذلك بإعطاء الأولوية للاختلاط بالأجناس من نفس الطبقة،وهذا ما يلح عليه شارل ريشات(Charles Richet)والذي يرفض وينتقد بشدة اختلاط الأجناس حيث يقول بضروري إيجاد سلطة تعمل على إبادة أو التخلص من الأجناس الدنيا، ويقصد الجنس الأصفر والخاصة الجنس الأسود،لتنتشر الفكرة بشدة خاصة بعد سنة 1933 أين ستعمل العديد من الحكومات على تطبيقها بعدة طرق،خاصة العنصرية منها كالنازية مثلا، والتي ستضع مجموعة من القوانين تهدف من خلالها إلى تشجيع التزاوج بين الجنس الراقي وعدم الاختلاط مع باقي الأجناس باعتبار دنويتها،والوصول إلى غاية التقليل وحتى إيقاف تزاوج وإنجاب عند الأجناس الدنيا،ونفس التصور بالنسبة للأشخاص ذوي الأمراض والعاهات الجسدية التي تنتقل بالوراثة والجينات[xl].

يظهر لنا –مما سبق- أن خطاب الأجناس في الأصل هو خطاب قديم أعيد صياغته، في عالم حديث بأفكار جديدة ومتطورة ذات صبغة إنسانية تنادي بحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، وهي في حقيقتها نظريات تستعبد شعوبا بأكملها، وتتخلى عن أفكارها الإنسانية من أجل تحقيق أطماعها الاستعمارية ضد المستعمر موصوف بالمتخلف. بل أصبح واضحا أنّ السلاح الإيديولوجي هو المفضل لسياسة الامبريالية حتى أصبح الباحثون والمفكرون – لهذه النظرية - يبتعدون عن الحقائق البديهية،بل اصطنعوا براهين علمية بيولوجية من أجل تقوية وتبرير خطاب الأجناس الدنيا[xli].

لقد جزأت الحركة الاستعمارية المجتمعات تجزئة عرقية معتمدة في ذلك على مميزات مرفولوجية خيالية مشبعة بالأفكار العنصرية، وذلك بالاعتماد على وفرة قوتها وتفوقها العسكري. ونعتقد أنه من أجل السيطرة زرعت هذه الأفكار الوهمية والقديمة داخل المجتمعات بغية تكريس التفرقة بين السكان الأصليين وهو ما يمكنها من سيطرت أكثر على المناطق المستعمرة. وقد كانت نتائج هذه الأفكار وخيمة حتى على اوربا في حد ذاتها، باعتبارها تقوم على أسس عرقية، مع العلم أنها مفاهيم ذات أصول غربية حيث شهدت فرنسا هذا التقسيم العرقي بين الغال والنورمان، حيث كان لهذا الأمر الأثر الكبير - ولمدة طويلة- على التاريخ الفرنسي،وقد استمر إلى غاية القرن 19 أين تمكنت فرنسا من القضاء على الانشقاق العرقي الداخلي،ولكن هذه المرحلة الصعبة من الانشقاق الأثيني الداخلي في فرنسا كانت بمثابة تجربة مهمة تفطنت من خلالها إلى ما يمكن أن يحدثه هذا المفهوم في المجتمعات، ولذا عملت على نقله إلى مستعمرتها،وجعلت المستعمَر يؤمن بخطابات المستعمر[xlii].

المعارض البشرية:

يأتي مفهوم العنوان "المعارض البشرية" كمصطلح نستخدمه هاهنا ليعبر عن ظاهرة مقززة تضرب عمق الإنسانية، والتي مارستها النخب الأوربية خدمة للحكومات الاستعمارية، تشبه إلى حد بعيد " معرض حديقة الحيوانات" المعروفة باستعراض أنواع الحيوانات والقيام بتجارب علمية بواسطتها، فإن كان الغرض من هذه الأخيرة كظاهرة معتادة ومعروفة تخدم المعرفة العلمية ومصالح مجموع الإنسانية، فإنّ ما صنعته النخب الأوربية بتوجيه من الحركة الاستعمارية لخدمة المصالح المادية الضيقة، والسعي لبناء رؤية أيديولوجية - علمية- تكرس العنصرية والتفرقة تحت موسوم"التصنيف الجنسي" يعد - في نظرنا - نتاجا معبرا عن عمق الانحطاط البشري الذي آلت إليه هذه النخب وتلك الحكومات في توظيف العلوم لأغراض مادية بعيدة الروح العلمية والمشاعر الإنسانية.

انطلاقا من هذا البعد الإيديولوجي المتمثل في مفهوم تصنيف الأجناس وتجسيدا كل الأفكار الغريبة التي تصب في هذا الاتجاه عمل المستعمر – بواسطة العلماء- على نشرها بين أفراد المجتمع وترسيخها في أذهان ومعتقدات المجتمعات الأوروبية،وفي خضم ذلك واثناء مرحلة التوسع الاستعماري ظهرت دعاية استعمارية - من نوع خاص- تمثلت في إقامة معرض لمجموعة أفراد استقدمتهم عنوة من مستعمراتها في كل من أمريكا وإفريقيا وأسيا ليتم تجميعهم في إطار ما أسمته بحديقة الحيوانات البشرية[xliii]، والهدف هو إعطاء صورة نمطية للإنسان المتوحش -أي المستعمَر- من

خلال استعراضهم في الساحات العمومية وفي المسارح سيظهر وبوضوح وحشية هذه الشعوب المستعمَرة، حيث يتمّ استعراضهم بملابس خاصة وطرق فريدة وبرقصات مسعورة هائجة، محاولين إظهار الطبيعة البدائية لهذه الشعوب،وتمثيل الصراعات دموية وبعض العادات الخاصة بها كالتضحية بالأشخاص والنساء والأطفال)[xliv]،وكل هذا من أجل ترسيخ عقدة التفوق. وتعزيز فكرة وجود إنسان بدائي في مناطق من العالم يشبه النيولتيك أو الأجناس الدونية – وهي استعراضات ومعارض عنصرية تسحر الأوربيين- حيث كان الطرف الاستعمار يروم من خلالها إذلال الشعوب المستعمَر والحط من قيمتها، فضلا عن إظهار شكلها الحيواني في الهيئة والسلوك، وفي المقابل إعلاء شأن الأوروبي، وتفوقه الطبيعي وتوسعاته فيما وراء البحار حاملا مهمة تطوير العالم المزيفة[xlv]

كان هذا السلوك من الأوربي يهدف إلى تكريس نظرة الفوقية وإبراز الحجة على أن هذه الشعوب المستعمرة ما هي إلا أجناس دونية وبذلك تبرير حركتهم الاستعمارية،محاولين بذلك إبراز فكرة " أن هذا النوع البشري يمثل حقيقة الإنسان البدائي الحيواني الذي لا علاقة له بالرجل الأبيض الأوروبي"، وهكذا تعززت أكثر فكرة تفوق الرجل الأبيض - المتحضر الأوروبي- في المخيال الجمعي لدى المجتمع الأبيض. وخلصت معايير التصنيف لديهم على إبراز الفرق بين الأوربي والأخر بقصد تبرير أيديولوجيتهم الاستعمارية وتقنين ظاهرة العبودية. كما يلاحظ أنّ هذه السلوكيات قد استغلت علم الانتربولوجيا، حيث استفادت -مثلا- من نظرية داروين فيما يخص التطور البشري، التي تكرست أكثر عن طريق هذه المعارض،مثلما قدمت نظرية عدم اختلاط الأجناس خدمة كبيرة للعنصرية بأنواعها[xlvi]،وبالإضافة إلى ذلك كله اهتمت بالمشاريع العلمية كمشروع جورج فاشر دولابوجي فيمحاول منها تحقيق فكرة تحسين النسل الوراثي لشعوب عن طريق اختيار منهجي وتطوعي[xlvii].

كانت هذه المعارض - التي أقيمت خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين-تمثل قمة الدعاية الامبريالية، بحيث كانت تنتهي عادة بنشر دوريات وتأليف كتب مصورة للأجناس الدنيا-حسبهم- كما تبرز من خلالها أنماطهم المعيشية. وكعينة لهذا المسلك وتلك الدعاية أحصت الدراسات الإقبال على عموميات تداول التذاكر لحضور المعارض البشرية والتي وصلت إلى أزيد من 33 مليون تذكرة[xlviii]. وقد صاحب هذه الظاهرة الترويج لفكرة تحسين النسل وللفكر التطوري التي جعلت كل من النبات والحيوان والإنسان في تصنيف واحد[xlix].

لقد ساعدت هذه المعارض الاستعمارية دول ما وراء البحار على نشر فكرها العنصري بالاستناد على الأسس العلمية والثقافية والأدبية، فأصبحت عبارة عن تطبيق علمي عالمي. مثلما كان لهذه المعارض الاستعمارية أيضا- وهي تظهر وحشية الأفارقة والإساءة إليهم-الأثر في تكوين قاعدة فكرية استعمارية مشتركة لدى الدول الأوربية، وتشكيل رؤية أوربية موحدة تجاه غيرهم بإبراز كل العلامات المشتركة لجمع فصائل المجتمع سواء كانت اجتماعية أو ثقافية والتي سبق أن وحّدت الأمم الأوربية من قبل، ليتمّ بذلك تكريست هوية ثقافية غربية[l].

نعتقد أنّ لهذا الفعل دور هام في تأسيس وتكوين هوية أوربية متفوقة،مثلما أنّ مفاهيمه باتت أكثر خطورة من الأنظمة الطبقية التي سادت في أوربا والتي كانت لها نتائج وخيمة على المجتمع الأوربي،فهي أفكار عنصرية ساهمت في تحالف الأمم والدول الأوربية فيما بينها، إلى أن تحولت إلى أسلحة فتاكة كسرت هذه الوحدة بفعل تصادم المصالح الاستعمارية.

لا شك أنّ إظهار مكانة الفرد الأوربي السيد الذي يمثل الجنس الراقي،وأن ما يقابله من الأجناس الأخرى الضاربة في التخلف هو بمثابة ضوء أخضر للاستيلاء على المستعمرات،مما دفع إلى التسابق نحو السيطرة عليها، وربما كان ذلك دافعا للتحالف بين الدول الاستعمارية وعقد الجلسات والاتفاقيات، ولكن تصادم المصالح حولت هذا التحالف وتلك الاتفاقيات إلى بروز ظاهرة التنافس الدولي الأوربي على مناطق النفوذ مما أفرز – مع الزمن – الوصول إلى مواجهات عسكرية سواء الثنائية أو العالمية "الحروب العالمية التي عرفها العالم". بالفعل فإنّ هذه المواجهة العسكرية قد أطاحت بكل هذه الاتفاقيات والتحالفات،لتتحول أوربا إلى تكتلات عنيفة تفجرت فيها كل الأحقاد الماضية والأطماع الآنية، فتولدت الحروب العالمية.

ومن خلال كل ما تقدم تبيّن أن الحركة الاستعمارية عملت على ترسيخ فكرة تصنيف الأجناس البشرية،وتبريرها وتشريعها،بالاعتماد على علماء البيولوجية والانتروبولوجيا، وقد شحنت لأجل ذلك عددا معتبرا من الباحثين[li]. وإنّ هذا العرض للأهالي (الأنديجان) والأجناس المتخلفة حسب مقاييسهم، كان يشرح ويحاول أن يقنع العامة بأهمية الحركة الاستعمارية الأوروبية، ويُظهر - أيضا – قيمة ما يمكن أن يقدمه ممثلو الحضارة والتطور لفائدة هذه الشعوب في حالة ما إذا احتكت بها، وبالتأكيد كان يحثهم على ضرورة القيام بالمهمة المقدسة وهي نقل الحضارة إليهم[lii].

عمل أصحاب هذا الطرح الأيديولوجي على توظيف كل الوسائل والأساليب وأنواع الطرائق في سبيل إيصال هذه الأفكار ونشرها في وسط المجتمع الأوروبي، ومنها الإنتاج السينمائي ونشر الصور والبطاقات البردية بغية إعطاء صورة نمطية للإنسان المتوحش. كان هذا فضلا عن الوسيلة- السابقة المعارض البشرية أو ما يعرف بحديقة الحيوانات البشرية –كان يهدف إلى ترسيخ منظور جديد للإنسان غير الأوربي، وبناء هوية أوربية قائما على إظهار الاختلاف العرقي العنصري لإيجاد تصور أوروبي جماعي ونظرة موحدة اتجاه الآخر[liii].

تعتبر الحديقة الحيوانات البشرية - أو" معرض أنواع البشر"- آلية فعالة بالنسبة للمستعمر لنشر هذه العنصرية العلمية والإيديولوجية والنظرية في وسط الشعوب، وكان لها من الآثار ما بقيت مخلفاته وتواصلت سلبياته على الشعوب المستعمرة إلى ما بعد الاستعمار. وإن من أشهر نماذج التطبيق العلمي لهذا الفكر الاستعماري جثة La venus Hottentotالتي تمّ نقلها من نيويورك إلى باريس، كما استمر عرض جسدها في متحف الإنسان إلى غاية السبعينات من القرن العشرين،و لم تتمكن إفريقيا من استرجاعها إلا بعد صراع قانوني طويل انتهى عام 2002 بإعادة الرفات إلى أهلها.

والجثة عبارة عن هيكل بشري لامرأة تدعىSaartjieسرتيجي من السكان الأصليين لجنوب إفريقيا، والتي تم اختطافها من ديارها عام 1810، ثمّ أخذت إلى لندن،وبعدها إلى باريس من أجل عرضها باعتبارها حيوانا متوحشا، وقد جذبت هذه المرأة اهتمام المجتمع العلمي،وأصبحت مشهورة حتى 1816 وهي سنة وفاتها، لتتحول إلى غنيمة تمثل قوة الحضارة الأوربية وتاريخها العظيم في سيطرتها الاستعمارية على العالم بما فيها إفريقيا[liv].

قام العالم كوفيCuvier بتشريح الجثة - باعتباره من علماء البيولوجيا الفرنسيين في عصره-وقد كان تفكيره يتطابق مع الفكر العنصري، وكان له اثر كبير على المجتمع ونفوذ واسع داخل الحكومة، وبالاعتماد على ذلك وفي هذا المجال قام بعدة أبحاث على البشر الأفارقة الذين اعتبروا من أدنى الأجناس.واستطاع أن يصنع قالبا لجسدها كاملا، وأخذ الهيكل والمخ وأجهزتها التناسلية،ثم وضعها في الفرمول وعرضت في متحف الإنسان[lv].

وفي سنة 1817م عرض - كوفيCuvier - نتائج عمله المتعلقة بتشريح جثة سرتيجي أمام أكاديمية باريس للطب، يشرح فيها شكلها ومواصفاتها وهيئتها الأشبه والأقرب – حسب خلاصته- إلى الحيوان منه إلى الإنسان غير متطور ،ونشر ملاحظاته التي استنتجها عن جثة المرأة، وحاول فرض نظريته العلمية لخدمة الفكر العنصري والاستعماري،وقد بذل قصارى جهده لشرح نظريته - الخاصة بتصنيف الجنس الآدمي-مستندا في تطبيقاته دراسة الجماجم البشرية، وهو إجراءمجحف وحكم قاسي اتجاه هذه الأجناس التي جعلها تنتمي إلى الطبقة الدنيا حسب تسلسله الهرمي في تصنيف الإنسان[lvi].

وقد وجدنا أنّ هذه الاستعراضات قد اختفت في فترات لاحقة،مع العلم أنّ ذلك لم يكن بسبب ضجر المجتمع الأوربي أو احتجاجات ما،وإنّما يعود ذلك إلى المنطق الكولونيالي، فعندما تمكنت هذه الدول الاستعمارية من تحقيق النفوذ والتوسع الكبيرين على حساب المستعمرات في سنوات 1920،أصبح من العيب إظهار هؤلاء الأشخاص على شكل مجتمعات مازالت بدائية ومتوحشة بربرية،لأنّ ذلك يعبّر عن فشلها في تحقيق مهمتها التطويرية. وهذا الخطاب يصبح غير ممكن،وأن مبررات وجودها بالمستعمرات غير حاضرة، ومن هنا يجب إظهار عكس ذلك. وأن النجاحات التي حققتها أوربا – وعلى رأسها فرنسا - في تعليم تلك الشعوب وأن عددا من الأشياء التي تمكنت من تحقيقها من اجل إيصال الحضارة إلى هؤلاء ستعصف بها تلك الاستعراضات البشرية، وبالمعنى الصحيح فقد صار الاستعمار يعتقد أن حديقة الحيوانات البشرية باتت تمثل خطرا على مشاريع فرنسا، وتدل على

فشلها في مهمتها التحضيرية ، وعليه فقد منعت هذا النوع من المعارض ابتداء من ذلك التاريخ[lvii].

واعتمدت الحكومات الاستعمارية في حملتها لترسيخ هذا الفكر العنصري في المجتمع الأوربي الدعاية الإعلامية بكل أصنافها، وقد ساعدت وسائل الإعلام الموجودة عصرئذ على إعداد وتكوين مخيال جمعي مشترك لهذا الإنسان على أنه يتسم بالوحشية والتشبع بالعادات والتقاليد البائدة والبدائية، وكان من أشهر الصحف القائمة على العملية لا سيانس اموزنت،(La science amusante) لو بوتي باريسيان (le petit parisien)، وكل المجلات الخاصة بالرحلات والاكتشافات[lviii].

كما حاولت تعميم هذه الفكرة على كل سكان مستعمراتها ولكن باستعمال طرق أخرى، كالصور والسينما والمسرح والطوابع البريدية التي أصبحت تلعب دورا مهما في ترسيخ الأفكار المراد ترويجها في المخيال الجمعي للفرد الغربي[lix]، فأصبحت الحكومات الاستعمارية لا تحتاج لإحضار ذلك الإنسان –البدائي وفق تفكيرها- من أجل ترسيخ نظريتها العنصرية،وإنما ستصبح كل هذه الطرق مجتمعة لتشكل نوعا جديدا من الدعاية بغية استعراض النمط السلوكي والهيئة الجسدية وغرابة ذلك لدى المجتمع الأوربي الغربي، فتتعزز الفكرة المراد رسمها في ذهنية الأوربي[lx].

من خلال تفحص الدراسات المعاصرة في الدوريات الغربية يبدو أن العديد من القائمين على عملية الاستكشاف – الرحالة والصحفيين- لإفريقيا، استعملوا في مقالاتهم القوالب النمطية العنصرية المعروفة أثناء وصفهم للقادة المطالبين بالاستقلال ،فعندما انتقد هومر ببقر (Homer Bigartالدكتور نكروماحكوام– وهو أحد الزعماء السياسيين(Kawame Nkrumah)- كتب يصفه محتقرا:" إنّ أفضل ما يميز الانديجان هو عيشه داخل الغابات، وهمجيتهم تكمن في أكلهم بعضهم البعض- فهم آكلو اللحوم البشرية- وبهذه الصفة سيؤولون إلى الانقراض، وسيشكلون الدواء المضاد للتزايد السكاني "[lxi]، فلا تكون زيادات سكانية بقدر ما يتحقق التقليص لأعدادهم.

وقد ساير هذا الطرح عدد من الصحفيين الفرنسيين المتخصصين في الشأن الإفريقي، فقاموا على الترويج مظاهر العنصرية والصراعات بأفريقيا ، ونعتقد أن عملهم ينبعث من خلفية تاريخية وأفكار تشبع بها الفرنسيون ظلت راسخة في أذهانهم، منطلقين من البناء الفكري عندهم كإسقاطهم الاختلاف الطبقي العرقي الذي كان يسود أوربا على الوضع العام في إفريقيا،مع تجاهلهم الدائم وإخفائهم للعامل الأوربي الذي أزم الوضع الإفريقي وساعد على صنع ونشر وترسيخ هذه الأفكار العنصرية واستعمالها من أجل أغراض مقيتة[lxii]

خاتمة:

والحاصل أنّ من بين الأدوات الايدولوجيا الخطيرة التي راجت في نهاية القرن التاسع عشر- أي خلال مرحلة التوسع الاستعماري الكبير- هول تسويق هذه ا لنظريات الواهية التي كان منطلقها"علم الإنسان أو الأنتروبولوجيا" لتبرير الخطاب الامبريالي الإيديولوجي الجديد، والمتمثل في الخطاب التنظيري للأجناس الدنيا، وقد عمل منظرو أوربا على وضع الأسس والبديهيات لهذا المفهوم من أجل تشييد أرضية يعتمد عليها هؤلاء المفكرون والقادة الاستعماريون لتبرير فكرهم وعملهم الاستعماري التوسعي، ومن ثم تقنين كل عمل يمكن أن يحقق الغاية، فكانت المجازر والتصرف في الممتلكات وتقسيمها والاغتناء بها، والضرب بقوة لكل من يقف في وجه تحقيقها كلها مبررة وفق هذا المفهوم والتنظير الأوربي.

وكان من آليات ذلك القيام على المعارض البشرية" استعراض أنواع الأجناس والأنواع البشرية "تعتبر ظاهرة من اخطر آليات التطبيق لهذه الإيديولوجيات حيث حققت الغرض الاستعماري المتمثل في ترسيخ الأفكار العنصرية وفي وسط الرأي العام العالمي والمجتمع الأوربي وذهنيات أفراده، وأعطت تحليلا و تبريرا - غير موضوعي- لتسلسل الهرمي العرقي الذي وضعته لهذه الشعوب المستعمرة، وقد وساعدهم في ذلك عملية التوسع الاستعماري مثلما ساعدت هذه العلوم والأبحاث في تشريع وتبرير هذه المعارض والأفكار العنصرية.

(ضروري إدراج قائمة المصادر والمرجع في نهاية المقال وقبل الهوامش) وفق التقسيم التالي:

•الكتب:

- لومبا آنيا ، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار ،تر محمد عبد الغني غنوم ،طبعة 1 ،دار الحوار للنشر ،اللاذقية ,2007.
- Leroy-Beaulieu Paul, ***De la colonisation chez les peuples modernes*** ,edit Guillaumin et cie, Paris 1874,
- Cuvier Gorges, Leçon d'anatomie, 3° éd ,Dumont, Bruxelles.1836,t.1
- Virey J-P , Histoire naturelle du genre humain, éd Dumont, t.2, Paris, 1865

- Hovelaceque Abel et Gorge Herve ,Recies d'anthologie ;Paris1887,
- Fremeaux Jacques, La France et L'Algérie en guerre ,1830-1870,éd commission Française d'histoire militaire, Paris2002,
- Aggoun Lounis et Jean-Baptiste Rivoire ,***Francalgerie, crimes et mensonges d'Etats*** ,édit La découverte, Paris2004
- Manceron Gilles , ***Marianne et ses colonies,*** édit La découverte, Paris 2003

- Eschoin-Morin Valerie ,***Les différentes étapes de l'histoire coloniale***, édit INRP ,Paris 2003
- Ferhat Abbas ,De la colonie vers la province, Le jeune algérien ,1930,suivie de rapport au maréchal Pétain, avril 1941,éd Garnier frères ,Paris,1981
- Marlene Patou-Mathis, De la hiérarchisation des êtres humains au paradigme racial Revue Hermes ,n° 66, éd s c.n.r,année 2013

- Franche Dominique, Comment le racisme s'empara du Rwanda ,in l'humanité du 13 mai ,2004
- Delacampagne.C. ,Une histoire du racisme, librairie générale française ,coll. ,livre de poche ,Paris2000
- Pichot .A..Aux origines des théories racial.de laBible a Darwin,Paris, éd Flammarion,2008
- Blanckaert .G, Un fil d'Ariane dans le labyrinthe des origines langue race et classification ethnologique au XIXsiecle, Revue d'histoire des science humaines n°17, Paris 2002
- Blanckaert .C , De la race a l'évolution , Paul Broca et l'anthropologie francaise1850-1900, éd l'harmattan, Paris, 2009.
-Poliakore .L. ,Le mythe aryen,éd calmann-levy,Paris 1971.

- Kevles .D.J, Au nom de l'eugénisme génétique et politique dans le monde anglo-saxon P.U.F ,Paris, 1995
- Rioux Jean-Pierre, ***La coloniesças'apprend à l'école***, édit A. Colin, Paris, 196

المقالات:

- Mendes France Tristan ,***Le génocide des Héréros 1904-1908,les Héréros demandent réparation à l'Allemagne*** ,in Le Monde diplomatique du 18septembre 2009
- Burgat Florence***, Comment l'occident traite son prochain, le droit absolu de l'homme sur l'animal***, in monde diplomatique, de février 199

- Hodeir Catrine***,Une journée à l'exposition coloniale*** ,in histoire, édit complexe ,Bruxelles 1984

. الهوامش:

1 - لومبا آنيا ، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار ،تر محمد عبد الغني غنوم ،دار الحوار للنشر ،اللاذقية ،الطبعة الأولى 2007،ص ص 80-90.

[ii] - Fremeaux Jacques, La France et L'Algérie en guerre ,1830-1870,éd commission Française d'histoire militaire, Paris2002, pp 50-52,

[ii] - نفسه.

[ii] - Leroy-Beaulieu Paul, ***De la colonisation chez les peuples modernes***,edit Guillaumin et cie, Paris 1874,p.20-21

[ii] - Mendes France Tristan ,***Le génocide des Héréros 1904-1908,les Héréros demandent réparation à l'Allemagne*** ,in Le Monde diplomatique du 18septembre 2009, pp.7-13

[ii] - LounisAggoun et Jean-Baptiste Rivoire ,***Francalgerie, crimes et mensonges d'Etats*** ,édit La découverte, Paris2004,p.24

[ii] - Manceron Gilles , ***Marianne et ses colonies,*** édit La découverte, Paris 2003,pp.59-60

[ii] - نفسه ،ص 61

[ii] -- Eschoin-Morin Valerie ,***Les différentes étapes de l'histoire coloniale***, édit INRP ,Paris 2003,p.13

[ii] - نفسه ،ص 14

[ii] Ferhat Abbas ,De la colonie vers la province, Le jeune algérien ,1930,suivie de rapport au maréchal Pétain, avril 1941,éd Garnier frères ,Paris,1981,pp20-21
[ii] -نفسه ص 22
[ii] Marlene Patou-Mathis, De la hiérarchisation des êtres humains au paradigme racial Revue Hermes ,n° 66,année 2013 éd s c.n.r, p 30
[ii] Franche Dominique, Comment le racisme s'empara du Rwanda,in l'humanitédu 13 mai ,2004,pp 55-57
[ii] Manceron Gilles , ***Marianne et ses colonies,*** op cit,,pp.59-60

[ii] Delacampagne.C. ,Une histoire du racisme, librairie générale française ,coll. ,livre de poche ,Paris2000, p 52-53
[ii] Abel Hovelaceque et Gorge Herve ,Rcies d'anthologie ;Paris1887,ed
[ii] Delacampagne.C. ,Une histoire du …, op cit , pp 60
[ii] -نفسه
[ii] Delacampagne.C. ,Une histoire du …, op cit , pp 60
[ii] Marlene Patou-Mathis, De la hiérarchisation des, op cit, p 34
[ii] Manceron Gilles , ***Marianne et ses colonies,*** op cit,,pp.65
[ii] Marlene patou-Mathis, op cit, p 34
[ii] Pichot .A..Aux origines des théories racial.de laBible a Darwin,Paris, éd Flammarion,2008, p 33-35
[ii] Marlene Patou-Mathis, op cit, p 33-
[ii] Blanckaert .G, Un fil d'Ariane dans le labyrinthe des origines langue race et classification ethnologique au XIXsiecle, Revue d'histoire des science humaines n°17, Paris 2002, pp 137-171
[ii] - نفسه
[ii] - نفسه
[ii] Marlene Patou-Mathis, de la hiérarchisation des, op cit, p 33
[ii] - نفسه ،ص 35
[ii] Blanckaert .G. Un fil d'Ariane dans le labyrinthe, opcit, pp 140-143
[ii] Blanckaert .C , De la race a l'évolution , Paul Broca et l'anthropologie francaise1850-1900-, éd l'harmattan, Paris, 2009,pp 62-66
[ii] - نفسه
[ii] Poliakore .L. ,Le mythe aryen,édcalmann-levy,Paris 1971 ,pp 76-83
[ii]Poliakore .L. ,Le mythe aryen, op cit ,pp 76-83
[ii] - نفسه
[ii] Kevles .D.J, Au nom de l'eugénisme génétique et politique dans le monde anglo-saxon P.U.F ,Paris, 1995,pp 56-67
[ii]- نفسه ,
[ii] - نفسه ,
[ii] Franche Dominique, ***comment le racisme s'empara du Rwanda***, in L'humanité, du 13 mai 2004, pp -
[ii] -
[ii] HodeirCatrine***,Une journée à l'exposition coloniale*** ,in histoire, édit complexe ,Bruxelles 1984, p43-
[ii] - نفسه ، ص 50-56
[ii] Burgat Florence***, Comment l'occident traite son prochain, le droit absolu de l'homme sur l'animal***, in monde -- diplomatique, de février 1999, pp 26-25

[ii] Hannah Arendt, opcit ,p 54-
[ii] HodeirCatrine***,une journée à l'exposition*** op cit , p42-
[ii] - نفسه
[ii] Burgat Florence***, Comment l'occident traite,***op cit,pp 26-25-
[ii] HodeirCatrine***,*** op cit , p 52 -
[ii] Hannah Arendt, ***L'impérialisme …*** , op .cit,p73, édition Fayard, Paris -

[ii] Manceron Gilles Marianne , op.cit, p54 -
[ii] Burgat Florence, Comment l'occident traite op.cit, pp 26-25 -

[ii] Rioux Jean-Pierre, ***La coloniesças'apprend à l'école***, édit A. Colin, Paris, 1969,p55 -

[ii] Cuvier Gorges, Leçon d'anatomie, 3° éd ,Dumont, Bruxelles.1836,t.1,pp246-247 -
[ii] Virey J-P , Histoire naturelle du genre humain, éd Dumont, t.2, Paris, 1865,pp315-316 -
[ii] Burgat Florence***, Comment l'occident traite*** op cit, pp 26-25-
[ii] Rioux Jean-Pierre, La colonies ca s' appends op cit,pp.53 -
[ii] Burgat Florence , Ibid-

[ii] HodeirCatrine ,une journée à l'exposition colonial, in histoire, édit complexe ,Bruxelles 1984, p 89-90 -

[ii] HodeirCatrine ,Unes journée à l'exposition coloniale, in histoire, édit Complexe, Bruxelles 1984 ,p89-90-.

[ii] - نفسه